



فديجة بنت فويلد

إليكم كريمتك خديجة، وقد بذل لها من
الصداق أربعين.

عمرو بن أسد: (مخاطباً خديجة) تكلمي يا خديجة،
والله إن لك من راحة العقل والكياسة
والحكمة ما يؤهلك للرأي السديد والحكم
الصائب.

خديجة: والله يا عم، لقد كنت سمعتُ عن محمد من
الأمانة والصدق، فاستأجرته ليخرج
في تجارتي إلى الشام. ولما سافر مع
غلامي ميسرة، ربح ربحاً عظيماً،
وروى لي ميسرة ما شاهده في محمد
من البركات، وحسن الأخلاق ما
حببه إلى نفسي، ورغبني فيه. ثم إن
الرأي لك يا عم من قبل ومن بعد.

عمرو بن أسد: والله يا خديجة
ما كان لي أن أخالفك هذا الرأي

(خديجة رضي الله عنها - عمرو بن أسد عمها

- أبو طالب عم الرسول ﷺ)

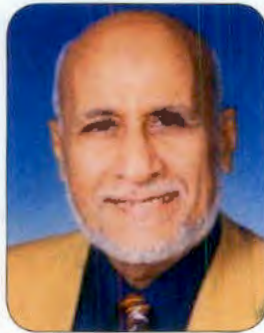
أبو طالب: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم
وزرع إسماعيل، ونسل معد وعنصر مضر.
وجعلنا حماة بيته ورعاة حرمة، وجعله لنا
حرماً آمناً.

عمرو بن أسد: والله يا أبا طالب، إنكم لخير الناس!

أبو طالب: ثم إن ابن أخي هذا محمد بن
عبدالله لا يوزن به رجل شرفاً
ونبلاً وفضلاً. وإن كان في المال
أقل.

عمرو بن أسد: يا أبا طالب، إن الرجال لا
توزن بالمال. فالمال زائل، وعرض
حائل، وعارية مستردة.

أبو طالب: ثم إن ابن أخي هذا له نبأ
عظيم، وخطر جليل. وقد خطب



د. حمادة إبراهيم - مصر

في رجل عرفنا عنه ما ذكرت، من حميد الخصال، وما سمعنا عنه من حسن السيرة، ونعرفه عنه من حسن المنبت. فعلى بركة الله!

(محمد ﷺ - خديجة رضي الله عنها)

محمد ﷺ: كيف ترين ليلة زواجنا يا خديجة؟
خديجة: والله يا محمد، ما سعدت في حياتي مثل سعادتي الليلة!

محمد ﷺ: الأهل والأقارب والأحبة جاؤوا من كل مكان.

خديجة: والله ما أسعدني حضور هؤلاء كما أسعدني وجود الفقراء والمساكين.

محمد ﷺ: لقد كنت كريمة معهم يا خديجة، وأجزلت لهم العطاء.

خديجة: هذه هي السعادة الحقيقية يا محمد، أن تطعم الجائع، وتعطي المحتاج.

محمد ﷺ: وحليمة السعدية التي أرضعتني، وكانت في مكانة أُمي، كان لها النصيب الأكبر من عطاياك يا خديجة، وهذا سرّني كثيراً.

خديجة: أليست أم زوجي في الرضاعة؟

محمد ﷺ: كانت نعم الأم! وقد أبهجني حضورها ليلة عرسى. وزاد من بهجتي ما وهبتها يا خديجة من الأغنام، أربعين رأساً من الغنم.

إني لأتخيلها الآن وهي عائدة إلى قومها، وهي تكاد تطير فرحاً. جزاك الله خيراً يا خديجة!

خديجة: لم أتركها ترحل وحدها يا محمد، بل أمرت زيد بن حارثة، خادمي، أن يصحبها حتى تصل إلى أهلها.

محمد ﷺ: ما أكرم نفسك يا خديجة! وقد ذكرتني بزيد. ولا أكتفك أنني شديد الحب لهذا الغلام!

خديجة: إذاً، مادمت تحبه يا محمد، فقد وهبته لك! محمد ﷺ: بارك الله فيك يا خديجة. وأرجو من الله أن أكون كفواً لك.

خديجة: أنت أشرف الرجال يا محمد، وشرف لي أن أكون لك زوجة.

محمد ﷺ: دعيني إذاً، في غمرة كرمك هذا أن أسألك شيئاً ترددت كثيراً في طلبه منك.

خديجة: سل ما تريد يا محمد!

محمد ﷺ: عمي أبو طالب، لديه عيال كثيرون، وأريد أن أخفف عنه عبأه بأن أووي أحد أبنائه، وهو علي، أضمه إلينا، ويعيش معنا.

خديجة: لك ما تريد يا محمد، وإن عملك هذا ليرفع من قدرك عندي، ويضاعف من حبي لك، إذ تصل رحمك، وتعين ذا الحاجة.

إسلام

(محمد ﷺ - خديجة رضي الله عنها، في بيتهما)

خديجة: ما لك يا محمد؟ محمد ﷺ: يا خديجة ما بي؟

خديجة: أنت لم تتم طول الليل. محمد ﷺ: لم أتم. لا أستطيع النوم.

خديجة: أحس بك تتقلب في الفراش، وتقوم وتقع، وسمعتك...

محمد ﷺ: سمعتني؟ خديجة: سمعتك تقول كلاماً... هل كنت تحلم؟

محمد ﷺ: والله ما أدري يا خديجة. خديجة: لكنك كنت تتكلم كأنك تحدث أحداً.

محمد ﷺ: ولكنني لم أكن أحلم... كان يقظة. أم كان حلماً؟ والله لا أدري.

خديجة: هون عليك يا محمد. محمد ﷺ: ليست أول مرة يا خديجة.



خديجة: ماذا ترى بالضبط يا محمد؟
 محمد ﷺ: كلما أردت النوم... شعرت كأن هناك
 من يوقظني... أهو الشيطان؟
 خديجة: لا تحزن يا محمد لقد طمأنك ورقة...
 محمد ﷺ: لكنني أرى شخصاً.
 خديجة: شخصاً؟
 محمد ﷺ: نعم. ولكن ليس شخصاً...
 خديجة: ماذا إذا يا محمد؟
 محمد ﷺ: كأنه شخص، ولكنه ليس بشخص.
 خديجة: ولكنني معك، ولم أر أحداً.
 محمد ﷺ: أتى لك رؤيته يا خديجة، فهو ليس هنا
 في الحجرة.
 خديجة: ترى شخصاً ليس في الحجرة؟
 محمد ﷺ: كأنه في السماء!..
 خديجة: ولكن، كيف يكون ذلك ونحن في الحجرة؟
 محمد ﷺ: أراه بين السماء والأرض... ولكن كيف
 ونحن في الحجرة؟
 خديجة: هكذا تكون الأحلام يا محمد. لا يحدها
 مكان ولا زمان.

 (محمد ﷺ - جبريل عليه السلام - ميسرة
 خادم خديجة)

محمد ﷺ: (يخرج من جبل حراء حتى
 إذا وصل وسط الجبل، سمع صوتاً من
 السماء)
 جبريل: يا محمد! يا محمد!
 محمد ﷺ: (يرفع رأسه إلى السماء
 ينظر)
 جبريل: يا محمد! يا محمد! أنت رسول الله
 وأنا جبريل!
 محمد ﷺ: (يرفع رأسه إلى السماء،
 فإذا جبريل في صورة رجل قدماه في أفق
 السماء) يا محمد، أنت رسول الله، وأنا
 جبريل!



على أن أظل إلى جوارك، أعينك وأثبتك،
وأخفف عنك ما يصيبك من أذى قومك.
محمد ﷺ: إنه ليحزنني ما قاله ورقة من أن قومي
سيعادوني بل سيخرجوني.
خديجة: يرحم الله ورقة كان يريد أن يدفع عنك.
ولكنني يا محمد سأجعل كل جاهي وثروتي
في سبيل الله، وفي سبيل هذا الدين. وأرجو
من الله أن يوفقني لذلك.
محمد ﷺ: أبشري يا خديجة، أمرت أن أبشرك
ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا
نصب.

خديجة: الحمد لله! الحمد لله!
محمد ﷺ: الحمد لله رب العالمين!
خديجة: لكن يا محمد، قبل قليل رأيتك تقوم وتقع،
وتقرأ كلاماً...
محمد ﷺ: نعم يا خديجة، كنت أصلي. هذه هي
الصلاة، أمرني بها جبريل.
خديجة: هل علمك جبريل كيف تصلي؟
محمد ﷺ: نعم يا خديجة. وعلمني قبل الصلاة
كيف أتوضأ.

محمد ﷺ: (ينظر إلى جبريل، ولا يتقدم ولا
يتأخر)

جبريل: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل!
محمد ﷺ: (يحاول أن يصرف وجهه عنه في آفاق
السماء، فيراه في كل ناحية)
ميسرة: (ينادي) يا محمد! يا محمد!
(محمد يخرج من تأمله)
محمد ﷺ: ميسرة؟

ميسرة: نعم! بعثتني سيدتي!
محمد ﷺ: خيراً يا ميسرة!
ميسرة: بعثتني سيدتي لما تأخرت عنها!

(محمد ﷺ - خديجة - في البيت)

محمد ﷺ: قال: يا محمد أنت رسول الله وأنا
جبريل، قالها مرتين.

خديجة: هذا ما قاله لنا ورقة بن نوفل، يرحمه الله.
محمد ﷺ: يرحم الله ورقة. بشرني وطمأنني.
خديجة: كان يرجو أن يطول به العمر، حتى يبعثك
الله، فيؤمن بك وينصرك.
محمد ﷺ: آمن بي قبل بعثي.

خديجة: وأنا يا محمد، أول من يؤمن بك
بعد بعثك. أشهد ألا إله إلا الله وأنت
رسول الله.

محمد ﷺ: يا خديجة، هذا جبريل يقرئك
السلام من ربك.

خديجة: الله السلام، ومنه السلام، وعلى
جبريل السلام.

محمد ﷺ: الحمد لله الذي هداك
للإسلام.

خديجة: الحمد لله الذي هداني. وإني والله
يا محمد أرجو من الله أن يعينني





خديجة: تتوضأ؟

محمد ﷺ: نعم، يا خديجة. أغتسل لكي أتطهر قبل الصلاة. وعلمني جبريل كيف أتوضأ. توضأ أمامي ففعلت كما فعل. ثم صلى بي، ففعلت ما فعل.

خديجة: علمني يا محمد كيف أتوضأ، وكيف أصلي؟ محمد ﷺ: سأعلمك يا خديجة.

(محمد ﷺ - خديجة رضي الله عنها)

محمد ﷺ: (يدخل البيت) أبشري يا خديجة! خديجة: حمداً لله يا محمد الذي أذهب عنك الغمة! محمد ﷺ: الحمد لله يا خديجة ربي لم ينسني! خديجة: ألم أقل لك يا محمد إن الله لا ينساك أبداً. محمد ﷺ: بعد انقطاع الوحي عني، ذهبت بي الظنون كل مذهب.

خديجة: وظننت أن الله قد ودّعك وتخلّى عنك.

محمد ﷺ: حاشا لله! هو اختبار وابتلاء!

خديجة: وهياً الشيطان لهم، حينما رأوك فوق جبل حراء، أنك ستلقي بنفسك من فوق الجبل.

محمد ﷺ: حاشا لله! كنت من فرط اليأس والقنوط أمشي مترنحاً فوق الجبل، أكاد أن أهوي من فوقه، حتى ظن بعضهم أنني أريد أن أقتل نفسي.

خديجة: الحمد لله ما ودّعك ربك وما قلاك!

محمد ﷺ: جاءني جبريل فأعاد إليّ الطمأنينة.

خديجة: كنت يتيماً فأواك في كفالة جدك، ثم كفالة عمك.

محمد ﷺ: والحمد لله كنت ضالاً فهداني إلى نور الحق واليقين. وكنت عائلاً فأغثاني بك يا خديجة.

خديجة: أغناك بأمانتك وشرfk، وحببي وحب بناتك.

محمد ﷺ: أما بنعمة ربك فحدث!

خديجة: هيا نتوضأ ونصل لله شكراً.

إِظْلَام

(خديجة رضي الله عنها - فاطمة رضي الله

عنها - زيد)

زيد: (داخلاً بيت خديجة) السلام عليكم ورحمة الله.

خديجة: وعليك السلام يا زيد، بشر يا زيد!

زيد: والله يا خالة، الأخبار لا تسر أبداً.

خديجة: لم تأتينا بشيء من السوق؟

زيد: كلا. لقد ذهبت إلى السوق. وكانت العير قد وصلت مكة، فأسرعت إلى التجار أشترى الطعام، فإذا بأبي لهب يقف وسط السوق ويقول: يا معشر التجار، غالوا في أسعاركم على أصحاب محمد، وأنا ضامن لكم ألا خسارة عليكم.

فاطمة: ويل لأبي لهب، حماد الوثن! ويل له وشاه وجهه!

زيد: جعل التجار يزيدون علي الأسعار أضعافاً مضاعفة. وكلما قبلت زادوا حتى أصابني اليأس.

خديجة: لقد تعب المسلمون جوعاً وعرياً.

فاطمة: والأطفال يتضورون جوعاً.

خديجة: أف لهذا البلاء! كيف تأكل قريش وتملاً بطونها والبطون هنا خاوية.

فاطمة: رفقاً يا أمام! فإن أبي قد يسمعنا، ولا نريد أن نضاعف كربته ونزيد غمه.

خديجة: والله يا ابنتي، إن ما يحزنني في هذه

المقاطعة هو أن عبأها يقع على بيتنا. فإلنا

يقصدوننا بحثاً عن شيء من الطعام يسدون

خديجة: من الذي أرسل هذا البعير؟ ولماذا أبطأ هذه المرة؟

فاطمة: إنهم يرقبونه يا أماء، يحاولون معرفته.

خديجة: من يا فاطمة؟

فاطمة: علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص يستتران وراء الصخور على أمل أن يريا الشخص الذي يأتي بالبعير، عند مدخل شعبنا، ثم يدفعه نحونا.

خديجة: ولماذا يريدون معرفته؟

فاطمة: لكي يردّوا الجميل.

خديجة: وهل عرفاه؟

فاطمة: نعم يا أماء. استطاع علي أن يرى شعباً ضخماً وراء البعير، يتقدم نحوهما، ثم أوقف الرجل البعير. ثم ضربه في جنبه، فأقبل البعير يجري إلى داخل الشعب. وعرف علي الرجل.

خديجة: من يكون يا فاطمة؟

فاطمة: إنه هشام بن عمرو بن ربيعة!

خديجة: هو ابن أخي. يا له من واصل للرحم! جازاه الله خيراً!

فاطمة: وأسرع علي وسعد يسوقان البعير، بما يحمل، إلى الجوعى من أهل الشعب.

خديجة: الحمد لله! الليلة، لن تنامي يا فاطمة جائعة، ولن ينام محمد خاوي البطن. الليلة سيطعم الأطفال والنساء، وسينعمون بالدفء والنوم الهانئ.

إظلام

* * *

(خديجة رضي الله عنها - فاطمة رضي الله عنها)

خديجة: يا فاطمة ... يا فاطمة ...

به رمقهم فلا يجدون.

فاطمة: لا بأس يا أم. إن بعد العسر يسرا.

خديجة: (تكاد تبكي وتحضن فاطمة وتضمها)

يكرمني أنك، يا بنيتي، تستقبلين الحياة وأنت في زهرة عمرك بهذه المتاعب وهذه الابتلاءات.

فاطمة: كفى يا أماء!

خديجة: إنها قریش يا فاطمة، قلوبها قُدت من الصخر.

فاطمة: هناك بارقة أمل يا أماء! وما ذاك البعير



الذي اندفع نحونا يحمل الطعام إلا دليلاً على أن الله سيفرج كربنا.

خديجة: إننا ما عشنا هذه الأيام إلا على لحم هذا البعير، وعلى حملة من الدقيق والتمر ونحن حتى لا ندري من الذي أرسله ودفعه نحونا.

فاطمة: هو رزق ساقه الله يا أماء. (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب).



خديجة: ثلاثة أيام وأنت لا تفارقتني يا محمد،

بالرغم مما يناديك من أعمال جسام!

(فاطمة تحضر الماء)

فاطمة: كيف تجد أمي يا أبي؟

محمد ﷺ: أمك بخير يا فاطمة!

(بللت خديجة شفثيها وهي تتأمل الوجه الذي

عاشت من أجله)

خديجة: كنت أود أن أكون دائماً إلى جوارك، ولكنه

أمر الله. (لكل أجل كتاب).

(خديجة تغمض عينيها)

محمد ﷺ: يا خديجة!

(خديجة تفتح عينيها لتجيب محمداً ﷺ بلا

كلام)

محمد ﷺ: يا خديجة، هذا جبريل أتاني الآن،

يقرئك السلام من ربك.

(تعود الحياة إلى عيني خديجة)

خديجة: الله السلام. ومنه السلام. وعلى جبريل

السلام.

فاطمة: هي النهاية إذاً يا أبي!

خديجة: تعالي أقبلك يا فاطمة. (تقبل فاطمة) أنا

مطمئنة لأنني أتركك معه يا فاطمة.

محمد ﷺ: اتركني وحدي معها يا فاطمة.

فاطمة: لهفي عليك يا أبي، بالأمس أبو طالب واليوم

خديجة.

خديجة: حسبي من هذه الدنيا أنني زوجة خير خلق

الله، وأنني أول من آمن به، وأنني أم لفاطمة

وأخواتها.

محمد ﷺ: يا خديجة!

خديجة: حسبي أن يقرئني جبريل السلام من ربي!

حسبي بيت من قصب، لا صخب فيه ولا

نصب، بعد طول العناء! ■

فاطمة: ها أنا ذي يا أماه إلى جوارك.

خديجة: هاتي يدك يا فاطمة!

فاطمة: هي شدة تزول يا أماه!

خديجة: والله، يا بنيتي، ما يحزنني أن أغادر الدنيا

إلا لأنني أترك محمداً وحده.

فاطمة: لا بأس عليك يا أماه!

خديجة: إنه وحده وسط هذه القرية الظالمة.

فاطمة: الله معه يا أماه، نحن جميعاً معه.

خديجة: سأتركه وحده. ما كان لي أن أتركه

وحده.

فاطمة: أبي بخير يا أماه!

خديجة: أتركه وحده في مواجهة الكفر والكفار ...

ولكنه أمر الله يا فاطمة.

(الدموع تسيل من عيني خديجة وفاطمة)

فاطمة: لا بأس عليك يا أماه!

خديجة: أنا أتركه لك يا فاطمة. أتركه معك.

فاطمة: وأنت معنا يا أماه!

خديجة: يا بنيتي، أنت قطعة منه. ما نظرت إلى

وجهك إلا ورأيت وجهه.

فاطمة: كفى يا أماه، أنت متعبة.

خديجة: بل هي النهاية يا فاطمة! أنت مؤمنة يا

فاطمة. والإيمان يعلمنا الصبر.

فاطمة: ونعم أمر الله... ونعم أمر الله!

(محمد ﷺ يدخل الحجر)

محمد ﷺ: السلام عليكم ورحمة الله!

خديجة: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

محمد ﷺ: لا بأس عليك يا خديجة. والله ما كنت

لأفارقك إلا لزيارة عمي المريض.

خديجة: إن فاطمة بجواري، كأنك أنت بجواري.

محمد ﷺ: أحضري ماء يا فاطمة.

(فاطمة تذهب لتحضر الماء)